علاوة عمارة: التعمير البشري والتعريب في المغرب الإسلامي الوسيط: بلاد كتامة أنموذجا[1]

Allaoua Amara : Settlement and Arabization in Medieval Maghreb: Kutāma Region as case Study

ترجمة: د. حسين بوبيدي[2]
جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري
مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي
hocine1492@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/03/05 القبول 2021/06/18 النشر على الخط 2021/12/15
Received 05/03/2021 Accepted 18/06/2021 Published online 15/12/2021

ملخص:

عرفت بلاد كتامة الواقعة في المنطقة الممتدة بين سطيف وميلة وجيجل تحولات مجالية واجتماعية كبيرة بعد مرحلة الفتوحات الأموية في المنطقة، رغم أن عملية انتشار الإسلام بها غير معروفة، فقد تم تصنيف جماعات المنطقة تحت اسم كتامة بعد نشاط دعوي اسماعيلي مكثف أدى هذا التصنيف لاحقا إلى توسع مجالي ليضم مدينة قسنطينة. إن دراسة المصادر المختلفة تسلط الضوء على هذا التطور الاستيطاني ونتائجه، وخاصة التعريب التدريجي لأسماء الأماكن والأشخاص والجماعات وخاصة خلال القرنين: 3-4هـ/9-10م، وقد أدى تحول مراكز الدعوة الإسماعيلية إلى مدن بلاد إفريقية الشرقية للنزوح الأول لأنصار الدعوة الإسماعيلية من كتامة، ولتبرير هذه الهجرة تمت عملية إصلاح عقائدي بحذف الارتباط بين المهدوية والقيامة لإضفاء الشرعية على المشروع السياسي للخلفاء الفاطميين، وفي مرحلة لاحقة أدى النزوح الهلالي والسليمي إلى اضعاف التوطين الكتامي بهذا المجال بعد استقرار العديد من القبائل العربية البدوية به، حيث بسطت سيطرتها على الوديان الرئيسية والهضاب العليا في بلاد كتامة.

الكلمات المفتاحية: البربر، التعريب، كتامة، الإسماعيلية، الهجرة الهلالية.

Abstract:

The Kutãma territory Located in the region between Sétif, Mila and Jijel on the western limits of Ifriqiya; has underwent significant spatial and social evolutions after the Umayyad conquests of the region. Although little is known about the spread of Islam, communities in the region have been placed in the same category, the Kutãma, following intense Ismaili missionary activity. This categorization in turn has later undergone a territorial extension to encompass the city of Constantine as the Ismailism progressed. The study of various sources highlights this evolution of settlement and in particular the gradual Arabization of ethnonyms and anthroponyms especially during the ninth and tenth centuries. The displacement of the centers of Ismaili preaching from the country of Kutãma to the eastern cities of Ifriqiya provoked the first departure of the Kutãma supporters of the Ismaili movement. To justify this, the Fatimid caliphs carried out a theological reform, suppressing the link between Mahdawiyya and the end of the world (Qiyamah) and legitimizing Fatimid political aims. The Hililian and Sulaymid displacement accentuated, at a later stage, the depopulation of the territory in favor of the Bedouin tribes who dominated the main valleys and the high plateaus of the Southern and eastern Kutãma territory.

Keywords: Berbers, Arabization, Kutãma, Ismailism, Hilalian immigration.

---

[1]- العنوان الأصلي للمقال هو:

Allaoua Amara ; « Peuplement et arabisation du Maghreb médiéval : l'exemple du pays des Kutāma », Bilal Sarr (éd.), Alborán, Poblamiento e intercambios en la zonas costeras de al-Andalus y el Magreb, Granada, Alhulia, 2018, p. 269-286.

[2]- المؤلّف المرسل: حسين بوبيدي البريد الإلكتروني: **hocine1492@gmail.com**

1- مقدمة:

مع أن موضوع تعريب سكان بلاد المغرب في العصر الوسيط قد حظي بأعمال متفاوتة الأهمية منذ خمسين سنة الماضية؛ فإن المجالات التي عرفت باسم بلاد كتامة لا تزال غير مدروسة جيدا، ففي إطار تاريخ عام للمغرب الوسيط تناول المستعرب الفرنسي أرنست مرسيي (Ernest Mercier) ماضي هذه المنطقة انطلاقا بالأساس من الترجمة الفرنسية لكتاب العبر لابن خلدون (ت: 808هـ/1406م)[1]. لقد تمت الاشارة إلى كتامة ضمن الأحداث التي مكنت الإسماعيليين من إقامة حكم سلالة الفاطميين، ووجب انتظار ستينات القرن الماضي لرؤية أول عمل حول كتامة وأراضيها ضمن إطار تاريخ السلالتين الأغلبية والفاطمية، إذ يعدّ محمد الطالبي أول مؤلف حاول دراسة عمق مجالات كتامة في مرحلة الدعوة الإسماعيلية، وذلك بالاعتماد على بعض النصوص الإسماعيلية التي كانت متاحة يومئذ، وخصوصا على تاريخ ابن خلدون، حيث شكّل هذا الأخير القاعدة التي حدد من خلالها مجالات كتامة الممتدة من البحر إلى جبل أوراس، ومن بونة إلى الصومام[2]، لكن المؤلف في محاولة تعرفه على بعض الأسماء الجغرافية وتحديد موقعها افتقد إلى الدقة في أغلب النتائج التي انتهى إليها.

في نفس الفترة؛ أخذ فرحات الدشراوي باستنتاجات الطالبي، لكنه قلص الأراضي التي تشغلها كتامة لتشمل فقط منطقة القبائل الصغرى كما حددها المؤلفون الفرنسيون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ أي المنطقة الممتدة بين سطيف وجيجل والقل[3]، ومثل سابقه اكتفى باستحضار التفسير "الأسطوري" الإسماعيلي للتسمية: **كتامة**، متجاهلا احتمالية دلالة اللفظ على تصنيف اجتماعي تحت لافتة كتامة. بعد ذلك بقليل؛ خصص موسى لقبال أطروحة دكتوراه لكتامة ودورها في تاريخ الخلافة الفاطمية في المغرب والمشرق الإسلاميين، معتبرا كتامة في بعض الأحيان قبيلة واحدة، وأحيانا عدة قبائل، وقام بتتبع تاريخهم من خلال تاريخ ابن خلدون والنصوص الاسماعيلية، بالإضافة إلى الروايات الشفوية التي جمعها في عين المكان، وقد حدد المجال الكتامي بدلس بالقرب من مدينة الجزائر غربا، ومرسى الخرز (القالة حاليا) شرقا. إن قراءة موسى لقبال فصلت المصادر عن سياق تبلورها، جامعة بين التاريخ وفضائل البلدان[4]، وقد تم تجاهل عملية الأسلمة والتعريب في المجالات الكتامية في كل الدراسات المذكورة.

حظيت كتامة في سياق التاريخ الفاطمي باهتمام دراستين أنجزهما على التوالي كل من هاينس هالم (Heinz Halm) ومايكل براث (Michael Brett)، حيث أفادنا الأول بأن الكتاميين المعتنقين للمذهب الإسماعيلي أقاموا دولة ثيوقراطية في تازروت تحت قيادة الداعي الكبير أبو عبد الله، وقد اعتبر التواجد الإسماعيلي ببلاد كتامة بمثابة دار هجرة، ومن خلال الأخذ بالنتائج التي

---

[1] - Ernest Mercier : Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale selon les documents fournis par les auteurs arabes et notamment par l'Histoire des Berbères d'Ibn Khaldoun. Constantine, 1875. Ernest Mercier : Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830). Paris, 1888, vol. II, pp. 293-310.

[2] -Mohamed Talbi : L'émirat aghlabide (184-296/800-909), histoire politique. Paris, 1966, pp. 537-699.

[3] -Farhat Dachraoui : Le califat fatimide au Maghreb 296-362/909-973, histoire politique et institutions. Tunis, 1981, pp. 78-145.

[4]- موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979 ، ص: 92-137.

انتهى إليها فرحات الدشراوي ربط **هالم** بين تاريخ كتامة وتاريخ الفاطميين، مؤكدا على بنيتها القبلية[1]، من جهته؛ انطلق **م. براث** من رواية القاضي النعمان لسرد نجاحات الدعوة الإسماعيلية في بلاد كتامة، ودور هذه الأخيرة في قيام الخلافة الفاطمية بعد القضاء على حكم السلالات المنافسة[2].

من الضروري إذن إجراء دراسة تنطلق من قراءة عميقة للمصادر لمعرفة التطورات التي طرأت على المجالات التي تم دمجها في بلاد كتامة، وسيتعين بداية فحص أصل ودلالة هذه التسمية وتطور معناها عبر الزمن، ثم الانتقال إلى قراءة دقيقة للنصوص الإسماعيلية التي قدمت لنا لأول مرة توصيفا داخليا لبلاد كتامة، كما سيتم الاهتمام بشكل خاص بالإصلاح العقدي الإسماعيلي فيما يتعلق بمفهوم ودلالة دار الهجرة، ودوره في التحولات الاجتماعية والثقافية بالمنطقة.

2- مرحلة انتقالية غير معروفة جيدا:

لم تصلنا معلومات تاريخية حول المنطقة الواقعة بين قسنطينة وسطيف وجيجل إلا في نهاية العصر الروماني، وقد اشتهرت المنطقة خصوصا باستيطان البافاريين/Bavarum) les Bavares) [3]، ثم عرفت تحولات اجتماعية عميقة في القرون اللاحقة نتج عنها ظهور اتحاد تحت اسم جديد، هذا الاتحاد تم الكشف عنه من خلال نقيشة لاتينية تعود للقرن 6 م نقرأ فيها اسم: أَكُتَمَنِ/Ucutamani، والتي تم اكتشافها في منطقة فدولس شمال غرب مدينة ميلة المندرجة وفق التقسيم الإداري الروماني ضمن مقاطعة موريتانيا السطايفية، بما يشهد عن تطورات هامة تتعلق بساكنة المنطقة في المجال المدروس ضمن سياقات تاريخية غير معروفة، حيث ليس هناك أي مؤشر يمكن من خلاله تحديد مجال أَكُتَمَنِ خلال هذه الفترة.

بعد قرن واحد من ذلك، كانت المنطقة هدفا للفاتحين الأمويين؛ انطلاقا من مدينة/معسكر القيروان التي أسسها عقبة بن نافع سنة: 50هـ/669م، هذا الأخير وخاصة خليفته أبو المهاجر دينار قادا سلسلة من الحملات في مجالات نوميديا وموريتانيا السطايفية السابقة، لكننا في هذه المرحلة نفتقد لأي بردية عربية أو شهادة معاصرة تتحدث عن أَكُتَمَنِ/ Ucutamani **ضمن** هذه الحوادث، وخاصة في منطقة ميلة التي تنسب الروايات التاريخية فتحها للقائد الأموي أبي المهاجر دينار[4]، ومع ذلك فإن الرواية العراقية حول الفتح الإسلامي التي بلورها الواقدي (ت: 204هـ/819م) ونقلها صاحب كتاب: الإمامة والسياسة تذكر لأول مرة ضمن مجالات السيطرة الأموية هؤلاء الـ: أَكُتَمَنِ/Ucutamani بصيغتها المعرّبة: كتامة، حيث ترد إشارة إلى أن القائد الأموي

---

[1] - Heinz Halm : The Empire of the Mahdi. The Rise of the Fatimids, translated from the german by Micheal Bonner. Leiden, 1996, pp. 101-107.

[2] - Michael Brett : The Rise of the Fatimids: The World of the Mediterranean and the Middle East in the Tenth Century C.E. Leiden, 2001, pp. 71-99.

[3]- انظر حول هذه المسألة:

Johan Desanges : Catalogue des tribus africaines de l'Antiquité classique à l'Ouest du Nil. Dakar, 1962, pp. 57, 71 ; Michel Christol et Jean-Pierre Laporte : « Teniet el Meksen : Un nouveau procurateur de Maurétanie césarienne dans les dernières décennies du IIIe siècle et les luttes entre le pouvoir romain et les Bavares ». Antiquités Africaines, 38-39 (2002-2003), pp. 115-130 ; Yves Modéran : Les Maures et l'Afrique romaine (IV e-VII e.). Rome, 2003, pp. 468-469 ; Jean-Pierre Laporte : « Ketama, Kutama ». Encyclopédie berbère, 27 (2005), pp. 4179-4187

[4]- ابن خياط، كتاب التاريخ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1995، ص: 226.

الجديد موسى بن نصير الذي خلف حسان بن النعمان قد أخذ رهائن من كتامة لضمان خضوع جماعاتهم للفاتحين[1]، وهي نفس المعطيات التي نجدها عند ابن عبد الحليم؛ لكنه يموضع الحوادث ضمن مجالات المغرب الأقصى[2]، فهي إذن نفس طريقة عملية تعريب اثنونيم أَكُتَمَنِ/Ucutamani من خلال حذف حرفي البداية والنهاية، واستبدال هذا الأخير بتاء مربوطة لتصبح: كتامة[3].

في القرن 2 هـ/8م لم تتم الإشارة إلى كتامة في التأريخ للصراع الذي احتدم بين السلطة الحاكمة في القيروان من جهة، وبين الإباضيين والصفريين من جهة أخرى، ولكن منذ بداية النصف الثاني من القرن 3هـ/9م تظهر كتامة من جديد في النصوص العربية الإسلامية في إطار تصنيف الشعوب المشكلة للأمة الإسلامية، وفي هذا السياق تم وضع السكان الذين كانوا متواجدين في بلاد المغرب خلال مرحلة الفتح ضمن نفس الفئة باسم: البربر، بينما أهملت مجموعتان لهما حضور هام أيضا في سرديات الفتح هما: الأفارقة والروم[4]. وفي هذا السياق تم ربط كتامة بالأصول اليمنية من قبل العديد من النسابة والمؤرخين المشارقة؛ مثل ابن الكلبي (ت: 204هـ/819م) والطبري (ت: 310هـ/922م) اللذان أكدا انتمائها لحمير[5].

لم يكن تصنيف كتامة هذا محل إجماع بين المؤلفين المشارقة، وعلى سبيل المثال؛ فإن ابن خرداذبة (ت: 280هـ/ 893م) في كتابه المسالك والممالك الذي خصص بعض فقراته للبربر، قد ألحق كتامة بمجموعات: هوارة، زناتة، ضريسة، مغيلة، مطماطة، ولواتة، أي المجموعات التي اعتنقت الإسلام على المذهب الإباضي، فحسب هذا المؤلف فإن هؤلاء البربر تعود أصولهم إلى فلسطين[6]. إن الكتابات الإسماعيلية وتاريخ ابن عذاري المراكشي (ت بعد: 712هـ/1312م) تترك انطباعا بانضمام بعض كتامة إلى المذهب الإباضي قبل الدعوة الإسماعيلية[7].

---

[1]- الإمامة والسياسة، سوسة، دار المعارف، 1997، ص: 292.

[2]- ابن عبد الحليم، كتاب الأنساب، نشر في: ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي، دراسة وتحقيق: محمد يعلى، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، 1996، ص: 96-97.

[3]- حول استمرارية التسميات القبلية التي تعود للعصور القديمة في العصر الوسيط لبلاد المغرب أنظر أعمال أحمد مشارق في :

Ahmed M'charek : «Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'Antiquité à nos jours: le cas des Berbères Auares (Hawãra) et Dianenses ou Zanenses (Zanãta)». Académie des inscriptions & belles-lettres comptes rendus des séances de l'année 2015, pp. 445-477 ; id., «de Tacite à Ibn Khaldûn. À la recherche de deux tribus berbères: Masofi (Masûfa) et Vsinazi (Banû Sinãg/Sanhadja». Actes du 7eme colloque sur l'histoire des steppes tunisiennes, Tunis, 2014, pp. 239-262.

[4]- انظر:

Ramzi Rouighi : « The Andalusi origins of the Berbers ? ». Journal of Medieval Iberian Studies, 2: 1 (2010), pp. 93 - 108; id., « The Berbers of the Arabs ». Studia Islamica, nouvelle édition/new series, 1 (2011), pp. 67-101.

[5]- ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، دمشق، تح: ناجي حسن، دمشق، القاهرة، عالم الكتب، 1988، ج2، ص: 548. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، 1979، ج1، ص: 207.

[6]- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ليدن، مطبعة بريل، 1889، ص: 90.

[7]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ج1، 79.

لقد تم تثبيت الشكل المعرب من الإثنونيم: أَكُتَمَنِ/Ucutamani (كتامة) في الكتابات الإسماعيلية، وخصوصا في عهد القائم بأمر الله وخليفته المنصور بالله كما يتضح ذلك في كتاب أبي علي منصور العزيز الجوذري، والذي يتضمن رسالة بالغة الأهمية وردت ضمن السيرة الذاتية لسيده جوذر، حيث يتم تقديم كتامة كأنصار للدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية وتتم الإشادة بجهودها[1]، ومن ثم تبرز الرؤية الاسماعيلية أن المجتمعات الريفية التي كانت تعمر المجالات الواقعة بين قسنطينة، سطيف، وجيجل قد تم دمجها تحت اسم جامع: كتامة؛ وتقديمها باعتبارها جماعات ملتزمة بالمذهب الإسماعيلي، وفصلها عن باقي البربر الذين تقدمهم هذه الأدبيات باعتبارهم تارة متمردين، وزنادقة تارة أخرى[2].

انتهى هذا المشروع الفاطمي بعودة الخلفاء إلى الشرق، وعادت كتامة لتضمّ من جديد إلى البربر تحت تأثير كتاب الأنساب الذي وضعه ابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ/1063م)؛ هذا الأخير جعلهم ينحدرون من مازيغ بن كنعان، وتم إدراج كتامة ضمن مجموعة البرانس[3]، أي ضمن الجماعات الزراعية بالمغرب[4]، وقد تبنى ابن خلدون (ت: 808هـ/1406م) والغالبية الساحقة الساحقة من المؤلفين هذا التصنيف، ولكن بمرور الوقت لم يعد الاسم القبلي: كتامة مستخدما ضمن المجالات المعروفة باسم: بلاد كتامة. في القسم الذي خصصه ابن خلدون لكتامة، جعلها تنحدر من كتم أو كتام بن برنس، وقد تشكل حسبه من كتامة عدة فروع مثل: دهاجة، ملوسة، ورسين، لهيصة، أجانة، غشمان، وبنو تيطاس[5].

3- من البلد إلى القبائل: كتامة عند القاضي النعمان:

تمكننا قراءة المصادر الإسماعيلية في سياقها التاريخي من إعطاء فكرة جيدة عن التصنيف الاجتماعي الذي قام به الفاطميون في المجال المدروس، وأقدم شهادة نمتلكها في الموضوع تعود لعبد الله بن جعفر بن أحمد بن الأسود بن الهيثم في بداية حكم الخليفة القائم بأمر الله (322-334هـ/933-946م)، في هذه المناظرات ينقل لنا المؤلف الذي تخلى عن مذهبه الزيدي ليعتنق المذهب

---

[1]- أبو علي منصور العزيزي الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، دار الفكر العربي، دت، ص: 54، 59.

[2]- إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار في فنون الآثار، أعده للنشر: فرحات الدشراوي، تونس، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، 1979، ص: 34.

[3]- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983.ص: 495، 498.

[4]- كان أصل وتقسيمات البربر موضوعا لنقاش تاريخي بالغ الأهمية يراجع فيه بالخصوص:

Maya Shatzmiller : « The Myth of the Berbers' Origin ». Revue du Monde musulman et de la Méditerranée, 35 (1983), pp : 145-156 ; id. The Berbers and the Islamic State. Princeton, 2000, pp. 16-27; id. « Notes et documents : une source méconnue de l'histoire des Berbères : le Kita-b al-ansa-b d'Ibn Hayyãn ». Arabica, XXX-1 (1983), pp. 73-79 ; Harry T. Norris : The Berbers in Arabic Literature. London – New York, 1982; Enrique Gozalbes Gravioto : « Los Orìgines del pueblo berber. La antigüedad clásica », dans Rachid Raha, Ahmed (éd.) : Imazighen del Maghreb entre Occidente y Oriente. Granada, 1994, pp. 19-39 ; Richard Bulliet : « Botr et Baranis : hypothèses sur l'histoire des Berbères ». Annales, économies, sociétés et civilisations, 36 (1981), pp. 104-116 .

عبد الحميد الفهر، "البربر من خلال المؤلفات العربية"، الكراسات التونسية، 159-160(1992)، ص: 119-122.

[5]- ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت، 1972، ج6، ص: 148.

الإسماعيلي نقاشاته مع الداعي أبي العباس شقيق الداعي الأكبر أبو عبد الله، ومع أن القضية الأساسية في النقاش تتعلق بموضوع الإمامة وأحقية أسرة النبي ﷺ فيها، لكن الإشارات الأولى المتعلقة بكتامة في بدايات الدعوة الإسماعيلية بالمنطقة تعد بالغة الأهمية من عدة جوانب، حيث نلحظ بجلاء ارتباط اسم كتامة بالمجال وليس بالعرق؛ إذ نقرأ قول أبو عبد الله الشيعي متحدثا عن إبراهيم اليماني الملقب بالسيد الصغير: "أقام عندي سنين بكتامة"[1]، وبنفس الدلالة نجد اللفظ كتامة يرد كدلالة على اسم مكان/طوبونيم عندما يصله الإمام المهدي بعد تحريره من سجنه بسجلماسة[2]، ويلاحظ أن النسبة : كتامي غائبة تماما، حيث يتم الاكتفاء في النسبة بإحدى القبائل التي صارت مدمجة لاحقا تحت هذا الاسم، وهو ما نجد مثاله في النسبة إلى مسالتة[3].

عرفت طريقة استحضار الكتاميين تطورا لافتا في كتاب: افتتاح الدعوة وابتداء الدولة الذي أُلّف سنة: 346هـ/957م، حيث بدأ القاضي النعمان في بناء ذاكرة الجماعة الإسماعيلية في المشرق وبالأخص في المغرب بعد عشر سنوات من نجاح الفاطميين في القضاء على ثورة أبي يزيد، ومثل سلفه ابن الهيثم يرد لفظ كتامة في كتابه كدلالة على اسم مكان/طوبونيم (بلد)، ويظهر ذلك في حديثه عن المرحلة الأولى من الدعوة الاسماعيلية على يد الداعيين أبو سفيان والحلواني[4]، ولكن منذ حضور الداعي أبو عبد الله في بلاد كتامة، فإن اللفظ أُستعمل للدلالة على من اعتنق من قبل المذهب الإسماعيلي في هذه المجالات (الرجال الكتاميون). ورغم الطابع الأسطوري للنقاشات التي دارت بين الداعي الشيعي وحجاج بلد كتامة التي أوردها القاضي النعمان؛ فإن ما تم تدوينه يترك انطباعا بأن مجال بلادهم امتد ما بين مدن ميلة وسطيف وبلزمة[5]، أي بعبارة أخرى تلك المجالات المفترضة لأَكُتَمَنِ/ Ucutamani في القرن 6م. وتظهر القائمة التي أوردها القاضي النعمان بصفة واضحة تنظيما جماعيا للإسماعيلية للجهة تحت مسمى كتامة، مع الإشارة إلى غياب كلي لهيكل يجمع ما بين هذه الجماعات، ومن خلال نص القاضي النعمان نلحظ أن دلالة اللفظ كتامة تنتقل من الدلالة على اسم مكان/طوبونيم إلى اثنيونيم بعد استقرار الداعي أبو عبد الله في مجالات بني سكتان الواقعة شمال سطيف سنة: 280هـ/893م[6]، وهو ما يسمح لنا بالقول أن انتشار الاسماعيلية في العديد من الجماعات غير المتجانسة قد أدى إلى تشكيل تنظيم اجتماعي جديد.

لقد تم اعتبار مختلف المجموعات المستقرة بين سطيف، ميلة، جيجل فروعا من كتامة؛ مثل: بنو سكتان، مسالتة، غشمان، لهيصة، أجانة، لطاية، جيملة، دنهاجة، أورسة، وبنو مجرس، مع أن قراءة سريعة لأسماء القبائل في الفترة القديمة تسمح لنا بإدراك ورود أسماء ضمن هذه القائمة لا يمكن إدراجها ضمن اللفظ: أَكُتَمَنِ/Ucutamani وانتفاء أي علاقه لها به، فمجموعة

---

[1] - Ibn al-Haytam, The Advent of the Fatimids. A Advent of the Fatimids. A Contemporary Shi'ı-Witness. Arabic edition and English translation of Kitab al-Muna-zarat by Wilfred Madelung and Paul E. Walker, London-New York, 2001, p. 54.

[2] - Ibn al-Haytam, The Advent of the Fatimids, p. 119.

[3] - op.cit, p. 119.

[4] - القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة، تح: فرحات الدشراوي، ط2، تونس- الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع- ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص: 27-32.

[5] - المصدر نفسه، ص: 36.

[6] - المصدر نفسه، ص: 48.

جيملة مثلا ليسوا سوى سكان جميلة/ Gemellae شرق الأوراس والمعدودة ضمن مجالات الجيتول (Gaetulia)، هؤلاء الجيمليون يمثلون فرعا من هوارة (أواراس/Averes في التاريخ القديم)، حيث سيتم في مرتفعات الأوراس تعريب اسمهم بشكل مختلف ليصبحوا: بنو كملان[1]، وفي ذات السياق فإن بني مجرس ليسوا سوى المجموعة المسماة قديما مكرنسس/Macrences أو مقرنسس/Magarenses جنوب الأوراس **(Aurasion)**، وهو الاثنونيم الذي عرّب في أماكم أخرى ليصبح: مغراوة[2].

إن التأكيد على التمييز بين كتامة والبربر يظهر بجلاء عند القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات، حيث يتم ربط البربر مباشرة بالجماعات الإباضية المتمردة بقيادة أبي يزيد، وتمّ التأكيد على توسيع مجالات كتامة لغاية قسنطينة[3]، وذلك بعد انتشار المذهب الاسماعيلي على امتداد طول وادي الرمل؛ وهو ما تدل عليه اكتشافات المسكوكات؛ التي عُثر على العديد منها في عدة مواقع قديمة مثل: تيديس/Castellum Tidditanorum، كلديس/ Genio Municippi Caldesium، والقليعة/ Respublica Uselitanorum، وبني زياد/Castellum Mastariense،[4] وبالتالي يمكننا أن نؤكد ما بينته سمية الحمداني من أن القاضي النعمان قام بدور مركزي في بناء الشرعية الفاطمية والذاكرة الجماعية الإسماعيلية في بلاد المغرب[5].

إن المادة التسموية التي يوردها القاضي النعمان في افتتاح الدعوة والداعي إدريس عماد الدين القرشي في عيون الأخبار تسمح تترك انطباعا من أن عملية تعريب أسماء الأشخاص/Anthroponymie وتبني أسماء إسلامية من طرف كتامة لم تكن قد تمت إلا قبيل تاريخ وصول الداعي أبي عبد الله، وهذه بعض الأمثلة:

- الحسن بن هارون الغشمي
- أبو تميم فحل بن نوح اللطايي
- أبو يوسف ماكنون/ماقنون بن ضبارة الإجاني
- أبو زاكي تمام بن معارك الأجاني
- مهدي بن أبي كناوة اللهيصي
- فرح بن جيران الأجاني
- بيان بن صقلان السكتاني
- أبو مديني بن أبي كناوة اللهيصي
- سليمان بن كافي الجيملي

[1] -A. M'charek *:* « Continuité de l'ethnonymie », pp. 457-461.
[2] *-ibid,* pp. 467-468.
[3] – القاضي النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي وآخرون، بيروت، دار المنتظر، 1996، ص: 96، 248، 344.
[4] -Paul-Armand Laily : « Un trésor de monnaies de Tiddis. Inventaire et observations ». Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la wilaya de Constantine, LXXI (1969-1971), pp. 91-121.
[5] - Sumaiya A. Hamdani : Between Revolution and State: The Path of Fatimid Statehood. London, 2006, pp. 13-122.

إن أغلب الأسماء التي تنتمي لخارج الثقافة الإسلامية لها أصول متنوعة، وجاءت في الأغلب من المخزون اللغوي البربري واللاتيني، أما الأسماء الإسلامية المعتمدة فهي في أغلبها قرآنية، ويعود بعضها لأنبياء أهل الكتاب، بينما ينسب عدد قليل جدا للتأثير الإسماعيلي.

4- من بلاد كتامة إلى إفريقية الشرقية:

بالرغم من أن تنظيم الدعوة الإسماعيلية في بلاد كتامة كان مستوحى من التنظيم الإسماعيلي العراقي، إلا أن الإسماعيلية المغربية شهدت تطورا ملحوظا من خلال الإصلاح العقدي الذي تم به تجاوز البعد الأخروي في هذا الخطاب وتثبيت مبدأ: دار الهجرة.

بالرجوع إلى المصادر الإسماعيلية فإن الداعي أبو عبد الله قد بنى قلعتين جبليتين في بلاد كتامة: إيكجان وتازروت، وهما تقعان على المنحدرات الجنوبية لجبال البابور، لأداء دور مركز الدعوة الإسماعيلية ومنزل داعي الدعاة وأنصار الدعوة (أولياء الله). وقد اعتبر الدعاة الإسماعيليون الأوائل هذه المراكز الدعوية "موطن الدين ومعدن الإيمان"[1]، لكن الإصلاح العقدي الإسماعيلي في دوره المغربي قد أدى إلى تغيير في هذا التصور ليتناغم مع التصورات الجديدة، وهكذا أصبحت أراضي كتامة بمثابة أرض الهجرة، وينبغي هنا التساؤل عن تاريخ حدوث هذا التحول؟ والذي يمكن رده إلى عهد الخليفة الفاطمي الأول المهدي (297-322هـ/909-933م)، مع أننا لا نجد إشارات إلى "دار الهجرة" في سيرة الحاجب جعفر بن علي (ت: 340هـ/951م) الذي رافق المهدي في سفره من سلمية إلى سجلماسة، وهي السيرة التي دونها محمد بن محمد اليماني[2].

إن ما يتوفر لدينا من المعلومات لحد الآن يقودنا إلى احتمالية ظهور مبدأ دار الهجرة ضمن التصورات العقدية الإسماعيلية في عهد الخليفة القائم، حيث تبرز إلزامية هجرة كل الإسماعيليين إلى الأراضي التي يسيطر عليها الإمام، ولذلك تم اعتبار بلاد كتامة دار هجرة بأثر رجعي (وهي دلالة على المعنى الدقيق: دار الهجرة)، ففي الرسالة المعنونة بـ: الرسالة الإمامية إلى أهل الممالك اليمنية والموجهة كما يظهر من عنوانها إلى المجتمعات الإسماعيلية باليمن، يصر القائم بأمر الله الفاطمي على ضرورة الهجرة إلى الأراضي الواقعة تحت سلطة الإمام[3]، ومن بين اليمنيين المهاجرين نجد الداعية جعفر بن منصور اليمن (ت: 347هـ/958م) ابن داعي

---

[1] - Ibn al-Haytam, The Advent of the Fatimids, p. 119.

[2]- اليماني، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج الإمام المهدي من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، تح: حسام خضور، دمشق، 2009، ص: 90.

[3]- هذه الرسالة ذكرت عند: يوسف بردودي، المذهب الإسماعيلي والعمران في المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، جامعة الامير عبد القادر، 2011، ص: 12.
ملاحظة: الرسالة المسماة: الرسالة الإمامية إلى أهل الممالك اليمنية التي أشار إليها العديد من الباحثين بينهم محمد الصالح مرمول وبوبة مجاني ونقلها هنا مؤلف المقال عن يوسف بردودي وقع سهو في نسبتها للقائم بأمر الله الفاطمي، لأنها تعود لأحد أئمة الشيعة الزيدية في اليمن، وهو: المنصور بالله القاسم بن محمد (1006-1029هـ/1597-1620م)، والرسالة الموجودة بهذا الاسم بالمكتبة الوطنية الجزائرية في مجموع مخطوط تحت الرقم: 604، ومن ص: 141و-146ظ. نعثر عليها بنصها في مصدر يمني معاصر لحركة القاسم بن محمد الزيدي ضد العثمانيين وهو: المطهر بن محمد الجرموزي (ت: 1077هـ/1667م)، النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، تح: عبد الحكيم الهجري، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، 1423هـ، ج1، ص: 366-379، ونلحظ أن الرسالتين تتطابقان من ص: 141و إلى: 144ظ من مخطوطة الجزائر، ثم تختلفان لتكون النسخة في الكتاب المشار إليه أوسع لكن ضمن نفس المعاني العامة، والقراءة المتأنية للنسخة تدل على أنها لا تعود للعهد الفاطمي المغربي باعتبار الإمام يقدم نفسه: الداعي إلى نفسه بالديار اليمنية، كما نلحظ فيها النفس الزيدي عقديا في ثنايا هذا الخطاب خاصة ما تعلق بدعوة أتباعه إلى طاعته في طاعة الله فإن أمرهم بمعصية فلا طاعة له عليهم، وهذا ما لايصدر عن إمام يعتقد العصمة

الدعاة الشهير ابن حوشب، فقد استقر بالمهدية سنة: 322هـ/933م حيث قام بالتأسيس العقدي لمبدأ دار الهجرة في كتابه المعنون بـ: الكشف، وقد لجأ إلى التأويل الباطني لإلغاء الفكرة المهدوية (وهي أسلمة للفكرة المسيحانية بعودة المسيح المخلص) التي صيغت في العقائد الإسماعيلية التي تشكلت في مرحلة الدعوة مرتبطة بيوم القيامة ونهاية العالم[1]، وفي كتابه الآخر أسرار وسرائر النطقاء أبرز المؤلف ذاته شرعية دار الهجرة حيث يستقر الدعاة في انتظار ظهور الإمام[2].

استند القاضي النعمان إلى التأويلات العقدية الجديدة لجعفر بن منصور اليمن، وكتب العديد من الأعمال التي قام من خلالها ببناء الذاكرة الإسماعيلية مستدخلا فيها مبدأ دار الهجرة كمفهوم أساسي، وقد اعتبر القلعتين الجبليتين إيكجان وتازروت الواقعتين في بلاد كتامة بمثابة داري هجرة لإضفاء الشرعية على الأهداف السياسية للفاطميين، متمثلة في النقل المتتالي لعاصمة دولتهم من بلاد كتامة إلى إفرقية ثم مصر، وأخيرا الوصول إلى بغداد[3]، وقد لعب هذا التطور الفكري بخلفيته السياسية دورا كبيرا في تهجير مجموعات كتامية عديدة من مجالها الأصلي إلى شرق إفريقية[4].

إن الهجرة الأولى لكتامة حدثت في عهد الخليفة المهدي، ثم في عهد الخليفة المنصور عقب ثورة أبي يزيد، حيث استقبلت المدن الرئيسية في إفريقية أهل كتامة الموالين للسلطة الجديدة في سياق إعادة هيكلة الدعوة الإسماعيلية والسياسة الفاطمية، وتشير المخلفات النقدية في تيديس وكلديس إلى أن الهجرة حدثت في عهد المهدي وخليفته القائم، وقد هجرت كتامة هذه المواقع جزئيا قبل ثورة أبي يزيد (333-336هـ/944-947م)[5]. وعلى الرغم من هجرة عدد من الكتاميين إلى شرق إفريقية ثم إلى مصر والشام، فإن الجغرافي المشرقي ابن حوقل (ت: بعد 367هـ/978م) الذي زار بلاد المغرب بعد ثورة أبي يزيد مباشرة، سجل تواجد كتامة الإسماعيلية على أراضيها الواقعة في منطقة سطيف، وعبر الطريق المؤدي من سطيف إلى المسيلة[6].

في العقائد الإسماعيلية، ويضاف أخيرا أن ديباجة الرسالة ذاتها تدل على أنها متأخرة زمنيا إذ أنها تتبع الصلاة على النبي وآله بالترضي على الصحابة والتابعين وأتباعهم، وهذا ما لا نجده ضمن أدبيات الشيعة في بداية القرن 4 هـ/10، ولا نجدها مطلقا في كتابات الإسماعيلية (**المترجم**).

[1]- جعفر بن منصور اليمن، كتاب الكشف، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984، ص: 38-117.

[2]- جعفر بن منصور اليمن، أسرار وسرائر النطقاء، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984، ص: 254.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 74، 176.

[4] -Allaoua Amara : « Les Fatimides et le Maghreb central : littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires ». Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, 139 (2016), pp. 111-114.

[5]- تتوفر لدينا العديد من المصادر حول مراحل ثورة أبي يزيد خصوصا: العزيزي الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص: 48-49؛ ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: جلال أحمد البدوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص: 33-34؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ص: 87-284؛ وانظر أيضا دراسات كل من:

Roger Le Tourneau : « La révolte d'Abu Yazid au Xe siècle ». Les Cahiers de Tunisie, 2 (1953), pp. 103-125 ; Mohamed Yalaoui : « Controverse entre le Fatimide al-Mu'izz et l'omeyyade al-Nasir d'après le Kita-b al-majalis wa-lmusayarat », Les Cahiers de Tunisie, 26 (1978), pp. 7-33.

[6]- ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1996، ص: 87-93.

5- الحضور الهلالي والتعريب الواسع لمجالات كتامة:

إن غياب المصادر المعاصرة لقدوم القبائل الهلالية إلى المناطق الجنوبية والشرقية من بلاد كتامة يجعل من الصعوبة دراسة بداية الحضور العربي في هذا المجال، وأقدم نص وصلنا حول هذه المسألة يعود لقرن كامل بعد هذه الهجرة، ويتعلق الأمر بكتاب نزهة المشتاق للإدريسي الذي كتبه سنة: 548هـ/ 1135م، حيث تبين المعطيات الواردة فيه اختراقا هلاليا للعديد من المجالات الكتامية، وعلى سبيل المثال فهو يشير إلى أن العرب الهلاليين يسيطرون على المناطق الريفية لميلة، وأن الأراضي الواقعة بين القل وقسنطينة أصبحت ضمن مجالات العرب، وقد وقفت سلسة جبال **سڤاو** التي تقع على بعد 30 كلم شمال قسنطينة كحاجز منع توغل القبائل الهلالية نحو المناطق الساحلية الواقعة بين غرب القل وبجاية، وقد أشار الإدريسي إلى تراجع التعمير الكتامي في نواحي سطيف لصالح القبائل الهلالية، لكنه يشير لأول مرة إلى التوطين الكتامي في المناطق الساحلية الواقعة بين القل وبونة[1].

شكّل منتصف القرن 8هـ/14م نقطة اختفاء اسم كتامة بدلالته المكانية والقبلية، مفسحا المجال لأسماء جديدة للأمكنة والمجتمعات التي تشكلت في سياقات غير معروفة جيدا، حيث تتجاوز الكتابة التاريخية الموحدية مجالات كتامة بشكل كامل، وليس لنا من المعلومات سوى الإشارة الواردة عند ابن خلدون تحت عنوان: "الخبر عن كتامة من بطون البرانس وما كان لهم من العز والظهور على القبائل وكيف تناولوا الملك من أيدي الاغالبة بدعوة الشيعة"[2]، وفي هذا النص يتسع مجال كتامة ليمتد من بسكرة جنوبا إلى البحر شمالا، ومن بونة شرقا إلى دلس غربا، ومع هذا الاتساع فإن ابن خلدون يشير إلى تراجع تعداد كتامة بسبب هجرتهم إلى مصر مع الخليفة المعز ثم التواجد الهلالي. وفي القرن 8هـ/14م خضع أحفاد كتامة للقبائل الغالبة، ولم يعد يشار لهم بهذا الاثنونيم. ولم يتبقى من المجال الذي حدده ابن خلدون سوى جبال جيجل ومرتفعات جرجرة، وبالنسبة له فإن سدويكش مثلت المجموعة الأهم المتحدرة من كتامة، والتي تقع مجالاتها بين قسنطينة وبجاية، ويتولى قيادتها أولاد سواد[3].

يمكننا من خلال الخرائط الجغرافية ووثائق المسح العقاري القديمة موضعة العديد من أسماء الأماكن والقبائل التي ذكرها ابن خلدون[4]، إن مجالات سدويكش تقع بين الكتلة الجبلية **سڤاو** التي تمثل قمة سيدي ادريس أعلى نقطة فيها شمال قسنطينة، وبين متوسة التي تقع اليوم في منطقة سوق الاثنين شرق بجاية، كما يمكننا تحديد مجال سلين في كل من سليانة وسقدال عند الضفة اليمنى للوادي الكبير مقابل القرارم حاليا، وبخصوص موليت فالأمر يتعلق بموية؛ وهي إحدى أكبر القبائل بالمنطقة، حيث يقع مجالها بين سلسلة جبال **سڤاو** ومدينة ميلة، نفس الشيء بالنسبة لبني فتنة الذين تعرض اسمهم القبلي لتغيير/تشويه ليتحول إلى بني قشة[5]، وحافظ بنو مروان وبنو زغلان على نفس التسمية، وهم موجودون اليوم بنواحي فرجيوة، وهنا لا ينبغي إغفال قضية مهمة،

---

[1]- الإدريسي، نزهة الآفاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، 1989، ص: 265، 267، 269.

[2]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص: 148.

[3]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص: 148.

[4] -Carte de l'Algérie divisée par tribus, par Ernest Carette et Auguste Warnier; membres de la Commission Scientifique de l'Algérie, 1846. Plans et cartes du territoire de la tribu des Mouia : section de Guettara et de Sidi Abdelmalek. Service des archives de la wilaya de Constantine, fonds de la propriété indigène et de la séquestration, n.° de boite 61.

[5]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص: 149.

تتعلق بتبني هذه الجماعات لنمط الحياة الهلالي البدوي الذي يميز القبائل الرحل، مما أعطى للمنطقة مظهرا عاما تسيطر عليه مساكن الخيام، ولم تعد هذه الجماعات تنسب نفسها لكتامة بعد أن تحولت إلى المذهب المالكي.

يمثل بنو تليلان إحدى الجماعات المتحدرة من كتامة أيضا، حيث تشغل المجال الواقع بين المنحدرات الشمالية لسلسلة جبال **سڤاو** والقل، وتولى قيادتهم بنو ثابت، وهي عائلة استطاعت فرض سلطتها عليهم ودخلت في خدمة الموحدين ثم الحفصيين، واستمرت في هذه المكانة، إلى أن غير السلطان الحفصي هذا الوضع وأنهى سلطتهم بعد الواقعة التي أودت بحياة حسن بن ثابت في فرجيوة[1].

إن قراءة نص ابن خلدون تجعلنا نعتقد أن المجال الذي تشغله كتامة في القرن 8هـ/14م اقتصر على منطقة تمتد من القل شرقا إلى متوسة غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى فرجيوة جنوبا، وهو ما تؤكده شهادة المؤرخ القسنطيني ابن قنفد التي دونها سنة: 806هـ/1404م، والتي تكشف بالخصوص عن سيطرة فرع رياح من بني هلال على الأراضي الواقعة بين قسنطينة وسطيف وميلة، بينما لم يذكر أحفاد كتامة سوى في منطقة صغيرة جدا، حيث تمت الإشارة مثلا إلى أولاد يوسف إحدى فروع سدويكش باعتبارهم يمتلكون الأراضي الواقعة بين وادي القطن وبلاد يوسف بالقرب من واد العثمانية حاليا[2].

إن أصل التسمية القبلية الجديدة التي صارت مستخدمة لأحفاد كتامة يطرح إشكالية حقيقية، إذ لا نجد لها أي حضور في المصادر المحلية قبل القرن 8هـ/14م، فهل يمكن أن يكون الاسم سدويكش مأخوذا من الأسرة الحاكمة سواد؟ من المحتمل جدا أن تشرذم الفروع القبلية التي كانت مشكلة لكتامة وإعادة بناء تحالفات جديدة أدى إلى وقوع قطيعة مع الماضي الاسماعيلي بعد التحول إلى المذهب المالكي الذي سيمثل المذهب الرسمي للحفصيين، ويبدو أن هذا الاسم تم تشكيله بإضافة أداة التصغير البربرية أش للاسم: سواد، لتدل سدويكش على السواد الصغار.

لقد استقرت القبائل الهلالية في أهم أحواض الأودية التي تشكل بلاد كتامة؛ وخصوصا في: وادي الرمل، بومرزوق، السمندو، بوسلام، السيبوس، الصفصاف، الرفراف، ومن بين أهم هذه القبائل مختلف فروع الأثبج ورياح، حيث سيطر بنو دريد على الأراضي الواقعة بين بونة وقسنطينة، واستقر أولاد مبارك على الضفة اليمنى لوادي السمندو في اتجاه سلسلة جبال **سڤاو**، وهي المجالات التي كانت سابقا لبني تليلان.

نتج عن ثورة بني غانية الميورقيين ضد الموحدين في المناطق الشرقية من بلاد المغرب تشكّل مشهد اجتماعي جديد في بلاد كتامة، ذلك أن الحفصيين الذين كانوا يومها ولاة الدولة الموحدية في شرق المغرب قاموا بجلب قبائل الكعوب ومرداس من أجل إضعاف قبائل رياح المتهمة بتقديم الدعم لبني غانية[3]، ومع ذلك فإن الدواودة إحدى أقوى قبائل رياح استمرت في القيام بأدوار ريادية عند الحفصيين، وسيطرت على أغلب السهول والهضاب الممتدة بين قسنطينة وجبل أوراس والزاب، حيث استفادت من امتيازات مهمة من الأراضي وجباية الضرائب مقابل دعمهم العسكري للسلطان الحفصي، وتتمة لدور سابقيهم من مزاتة في هذه

[1]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص: 151.

[2]- ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1968، ص: 139، 164، 182.

[3]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص: 73.

المجالات فقد رسّخوا فيها تقاليد حياة الترحال لتعم منطقة الهضاب بين قسنطينة وواحات الزاب[1]، وقد استمر هذا الوضع الاجتماعي الجديد في بلاد كتامة في القرون اللاحقة، وهو ما تدل عليه شهادة المدجن عبد الله بن الصباح؛ الذي صور المجالات الريفية حول قسنطينة باعتبارها: "بادية العرب"[2]، وهذا ما يدل على تغيرات عميقة في النسيج الاجتماعي بالمنطقة أدى إلى اختفاء اسم كتامة.

إن أسماء الأماكن التي توفرها الوثائق الأرشيفية[3] التي تعود إلى الفترة الحديثة تكشف عن حدوث هجرات للقبائل البربرية من الأوراس والمغرب الأقصى إلى بلاد كتامة، ففي فرجيوة نجد حضورا لمجموعة مزالة (فج مزالة)، وهي إحدى الفروع الصغيرة من هنتاتة المتمركزة جنوب مراكش[4]، كما نجد زواغة التي تقع مراكزها جنوب غرب الأوراس[5] قد شغلت في سياقات غير معروفة مجالات واسعة بين ميلة وفرجيوة، والتي ستصبح في العهد العثماني إحدى أهم القبائل بالمنطقة، وفي جنوب سطيف سيطرت قبيلة ريغة المتحدرة من مغراوة على المناطق الواقعة شمال جبل بوطالب.

6- خاتمة:

بعد المرحلة الإسماعيلية التي تميزت بتصنيف العديد من الجماعات الريفية في المنطقة الممتدة بين ميلة وجيجل وسطيف تحت الاسم الجامع: كتامة، حدثت تحولات مجالية واجتماعية بالغة الأهمية في المناطق الواقعة على التخوم الغربية لإفريقية، نتج عنها في المرحلة الحمادية تشكيل مقاطعة إدارية تتبع قسنطينة من خلال إعادة تشكيل بنية تنظيمية جديدة تشمل بلاد كتامة وأوربة في مجالات بونة بالإضافة إلى هوارة (وهو اللفظ الذي يمكن مطابقته في الفترة القديمة مع مقاطعة أواريتانا/ Avaritana Provincia)[6]. لقد ضمت تسمية بلاد كتامة مجموعات سكانية غير متجانسة منذ المرحلة الرومانية القديمة[7]، وتأكد ذلك

---

[1]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص: 151. وحول المجالات التي انتشر فيها بنو دريد والدوادة انظر: حسن محمد: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ،تونس، منشورات جامعة تونس الأولى، 1999، ج1، ص: 99-102، 107-115. وحول الدور السياسي لهذه القبائل أنظر:

Dominique Valérian : Bougie, port maghrébin :1067-1510. Rome, 2006, pp. 153-173 .

مسعود بريكة، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (ق: 7-9هـ/13-15م)، الجزائر، دار ميم للنشر، 2014، ص: 346-368.

[2]- ابن الصباح، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تح: محمد بن شريفة، الرباط، دار أبي رقراق، 2008، ص: 103.

[3]- وثائق مستخرجة من المكاتب العربية لعمالة قسنطينة. انظر:

FR ANOM, GGA 50K/1 : Poste de Mila (1865/1873).

[4]- ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص: 86.

[5]- المصدر نفسه، ص: 41.

[6]- هذا بناء على المقترح الوارد عند:

A. M'charek : « Continuité de l'ethnonymie », p. 447.

[7]- حول مسار التعمير في هذه المنطقة في نهاية الفترة القديمة وبداية الفترة الوسيطة يراجع:

Paul-Albert Février : «Observations sur la tribu dans le Maghreb antique ». La Méditerranée de Paul Albert Février, Rome, 1996, p. 841-845 ; Mohamed Méouak : « Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb: l'apport de la toponymie et de la philologie ». Rocznikorientalistyczny, LXVI (2013), pp. 58–73.

بوصول القبائل الهلالية والسليمية للمنطقة وسيطرتها على المجالات الشرقية والجنوبية لكتامة، مما نتج عنه تنظيم مجالي واجتماعي جديد، ونتج عنه استكمال عملية التعريب في المنطقة.

إن دراسة استمرارية الاستيطان البشري في بلاد كتامة يتطلب المزيد من الحفر المعرفي، وهو في حاجة ملحة إلى استنطاق النقوش والنصوص القديمة الليبية واليونانية واللاتينية من أجل ضبط وتحديد الأسماء الإثنية القديمة، ثم العمل بعد ذلك على تحليل عملية تعريب الهوية الأنوماستيكية التي كانت موجودة في فترة الفتوحات الأموية، والتي ستسمح بعد ذلك بالوصول إلى تحديد مختلف الجماعات المصنفة في خانة كتامة.

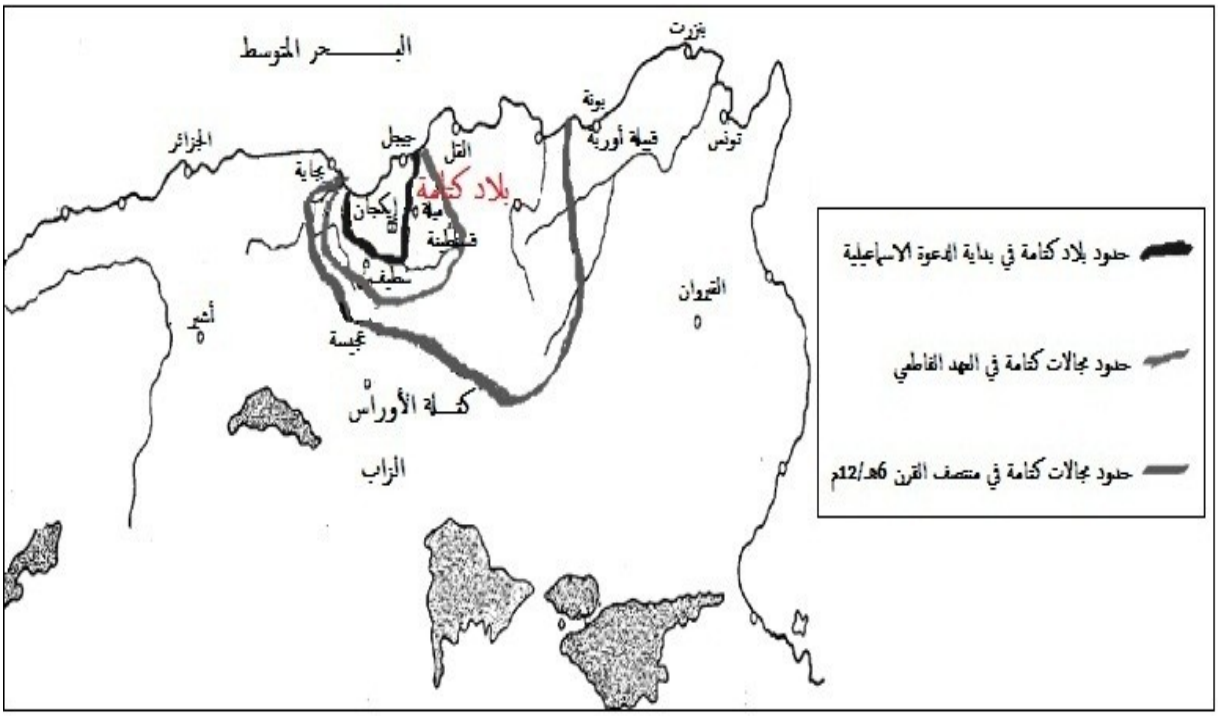

تطور مجالات كتامة من ق: 3-6هـ/9-12م (من إنجاز المؤلف)

بقايا قلعة إيكجان (تصوير المؤلف)

حصن كلديس /مشتى نهار / Genio Municippi Caldesium (تصوير المؤلف)

بقايا تيديس/Castellum Tidditanorum (تصوير المؤلف)

قائمة المصادر والمراجع:

أ- وثائق الأرشيف:

1- FR ANOM, GGA 50K/1 : Poste de Mila (1865/1873).
2- Carte de l'Algérie divisée par tribus, par Ernest Carette et Auguste Warnier ; membres de la Commission Scientifique de l'Algérie, 1846.
3- Plans et cartes du territoire de la tribu des Mouia : section de Guettara et de Sidi Abdelmalek. Service des archives de la wilaya de Constantine, fonds de la propriété indigène et de la séquestration, n.° de boite 61.

ب-المصادر:

4- الإدريسي: نزهة الآفاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، 1989.

5- الجرموزي المطهر بن محمد: النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، تح: عبد الحكيم الهجري، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، 1423هـ

6- جعفر بن منصور اليمن: أسرار وسرائر النطقاء، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984.

7- جعفر بن منصور اليمن: كتاب الكشف، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984.

8- ابن حزم الأندلسي: مهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983.

9- ابن عبد الحليم: كتاب الأنساب، نشر في: ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي، دراسة وتحقيق: محمد يعلى، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، 1996.

10- ابن حماد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: جلال أحمد البدوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984

11- ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1996.

12– ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ليدن، مطبعة بريل، 1889.

13– ابن خلدون،: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، 1972.

14– ابن خياط: كتاب التاريخ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1995، ص: 226.

15– ابن الصباح: أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تح: محمد بن شريفة، الرباط، دار أبي رقراق، 2008.

16– الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، 1979.

17– ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، 1983.

18– العزيزي الجوذري: سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، دار الفكر العربي، دت.

19– القاضي النعمان: كتاب المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي وآخرون، بيروت، دار المنتظر، 1996.

20– القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة، تح: فرحات الدشراوي، ط2، تونس– الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع– ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.

21– ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، سوسة، دار المعارف، 1997.

22– القرشي إدريس عماد الدين،: عيون الأخبار في فنون الآثار، أعده للنشر: فرحات الدشراوي، تونس، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، 1979.

23– ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

24– ابن قنقد القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1968.

25– ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، دمشق، تح: ناجي حسن، دمشق، القاهرة، عالم الكتب، 1988.

26– اليماني: سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج الإمام المهدي من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، تح: حسام خضور، دمشق، 2009.

ج –المراجع:

- **المراجع العربية:**

27– محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ،تونس، منشورات جامعة تونس الأولى، 1999.

28– مسعود بريكة، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (ق: 7-9هـ/13-15م)، الجزائر، دار ميم للنشر، 2014.

29– موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.

30– يوسف بردودي، المذهب الإسماعيلي والعمران في المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، جامعة الامير عبد القادر، 2011.

- **المراجع الأجنبية:**

31- Ernest Mercier : Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830). Paris, 1888.
32- Ernest Mercier : Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale selon les documents fournis par les auteurs arabes et notamment par l'Histoire des Berbères d'Ibn Khaldoun. Constantine, 1875.
33- Dominique Valérian : Bougie, port maghrébin :1067-1510. Rome, 2006.
34- Farhat Dachraoui : Le califat fatimide au Maghreb 296-362/909-973, histoire politique et institutions. Tunis, 1981.
35- Harry T. Norris : The Berbers in Arabic Literature. London – New York, 1982.
36- Heinz Halm : The Empire of the Mahdi. The Rise of the Fatimids, translated from the german by Micheal Bonner. Leiden, 1996.
37- Ibn al-Haytam, The Advent of the Fatimids. A Advent of the Fatimids. A Contemporary Shi'ı-Witness. Arabic edition and English translation of Kitab al-Muna-zarat by Wilfred Madelung and Paul E. Walker, London-New York, 2001.
38- Johan Desanges : Catalogue des tribus africaines de l'Antiquité classique à l'Ouest du Nil. Dakar, 1962.
39- Mohamed Talbi : L'émirat aghlabide (184-296/800-909), histoire politique. Paris, 1966.
40- Michael Brett : The Rise of the Fatimids: The World of the Mediterranean and the Middle East in the Tenth Century C.E. Leiden, 2001.
41- Sumaiya A. Hamdani : Between Revolution and State: The Path of Fatimid Statehood. London, 2006.
Yves Modéran : Les Maures et l'Afrique romaine (IV e-VII e.). Rome, 2003.

د ـ المجلات وأعمال الملتقيات والكتب الجماعية:

- **باللغة العربية:**

42- عبد الحميد الفهر، "البربر من خلال المؤلفات العربية"، الكراسات التونسية، 159-160(1992)، ص: 119-122.

- **باللغة الأجنبية:**

43- Ahmed M'charek : «Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'Antiquité à nos jours: le cas des Berbères Auares (Hawãra) et Dianenses ou Zanenses (Zanãta)». Académie des inscriptions & belles-lettres comptes rendus des séances de l'année 2015, pp. 445-477 .
44- Ahmed M'charek : «de Tacite à Ibn Khaldûn. À la recherche de deux tribus berbères: Masofi (Masûfa) et Vsinazi (Banû Sinãg/Sanhadja». Actes du 7eme colloque sur l'histoire des steppes tunisiennes, Tunis, 2014, pp. 239-262.
45- Allaoua Amara : « Les Fatimides et le Maghreb central : littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires ». Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, 139 (2016), pp. 107-125.
46- Enrique Gozalbes Gravioto : « Los Orìgines del pueblo berber. La antigüedad clásica », dans Rachid Raha, Ahmed (éd.) : Imazighen del Maghreb entre Occidente y Oriente. Granada, 1994, pp. 19-39.
47- Jean-Pierre Laporte : « Ketama, Kutama ». Encyclopédie berbère, 27 (2005), pp. 4179-4187.
48- Maya Shatzmiller : The Berbers and the Islamic State. Princeton, 2000, pp. 16-27.
49- Maya Shatzmiller : « Notes et documents : une source méconnue de l'histoire des Berbères : le Kita-b al-ansa-b d'Ibn Hayyãn ». Arabica, XXX-1 (1983), pp. 73-79 .
50- Mohamed Méouak : « Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb: l'apport de la toponymie et de la philologie ». Rocznikorientalistyczny, LXVI (2013), pp. 58–73.
51- Michel Christol et Jean-Pierre Laporte : « Teniet el Meksen : Un nouveau procurateur de Maurétanie césarienne dans les dernières décennies du IIIe siècle et les luttes entre le pouvoir romain et les Bavares ». Antiquités Africaines, 38-39 (2002-2003), pp. 115-130 .
52- Paul-Albert Février : « Observations sur la tribu dans le Maghreb antique ». La Méditerranée de Paul Albert Février, Rome, 1996, pp. 841-845.
53- Paul-Armand Laily : « Un trésor de monnaies de Tiddis. Inventaire et observations ». Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la wilaya de Constantine, LXXI (1969-1971), pp. 91-121.

54- Ramzi Rouighi : « The Andalusi origins of the Berbers ? ». Journal of Medieval Iberian Studies, 2: 1 (2010), pp. 93 – 108.
55- Ramzi Rouighi : « The Berbers of the Arabs ». Studia Islamica, nouvelle édition/new series, 1 (2011), pp. 67-101.
56- Maya Shatzmiller : « The Myth of the Berbers' Origin ». Revue du Monde musulman et de la Méditerranée, 35 (1983), pp : 145-156.
57- Richard Bulliet : « Botr et Baranis : hypothèses sur l'histoire des Berbères». Annales, économies, sociétés et civilisations, 36 (1981), pp. 104-116.
58- Roger Le Tourneau : « La révolte d'Abu Yazid au Xe siècle ». Les Cahiers de Tunisie, 2 (1953), pp. 103-125 .
59-Mohamed Yalaoui : « Controverse entre le Fatimide al-Mu'izz et l'omeyyade al-Nasir d'après le Kita-b al-majalis wa-lmusayarat », Les Cahiers de Tunisie, 26 (1978), pp. 7-33.